

أسباب ظاهرة الحرب

عبّاس علي عميد الزنجاني

يدرس الكاتب في هذه المقالة أسباب ظاهرة الحرب والعوامل المؤدية إليها، وهل هي ظاهرة تخريب وهدم وتدمير أو عامل يمهّد للوصول إلى الإزدهار العلمي والتقدم الثقافي. وبعد أن يتساءل الكاتب عن دور الحرب في خلق الحاجات البشرية وتدعيم المساعي الإنسانية للوصول إليها وتدعيمها. وبيان نتائجها المشؤمة ومكتسباتها الإيجابية، يرى أنّ المهم في هذه الدراسة، الكشف عن العلاقة بين ماضي الحياة البشرية وحاضرها ومستقبلها من خلال ظاهرة الحرب وذلك بدراسة منشأها وأسباب وقوعها. وبناءً على هذا يستعرض الكاتب النظريات المختلفة حول هذه المسألة، فيورد مذهب إليه القدماء أمثال أفلاطون وأرسطو وسقراط في هذا الشأن ومآله من بعدهم أمثال توماس هابز وفرويد وغيرهما، وهل للحرب أصل في طبع الإنسان أو أنّها عارضة اجتماعية أو تنبع من رغبة في التفوّق. وبعد أن يعرض دور السياسة والفوضى الدولية والتنافر بين الإمبرياليين وازدياد السكّان وضرورة الإقتصاد في خلقها، يختم الكاتب جولته هذه بالحديث عن نظرية ماركس وانغلز ورأيها في أسباب ظاهرة الحرب. وأخيراً يتّوجّ الكاتب مقالته هذه بالحديث عن أسباب نشوء الحرب بالإعتماد على ماورد في القرآن الكريم والوحي الإلهي مبيناً أنّ لهذه الظاهرة جذور في نفس الإنسان.

الحرب لفظة معروفة تطلق على النزاع المسلح والعنيف بين دولتين أو عدّة دول أو فئة حاكمة. ويمكن دراسة ظاهرة الحرب من وجهات نظر مختلفة، وهي ليست جديرة بالمطالعة لكونها، «مجموعة متصل بعضها ببعض باسم تاريخ البشر» فقط وإنما ينبغي دراستها لأن البشر سيواجهونها في المستقبل، ولظاهرة الحرب أهمية كبيرة لمكانتها ودورها وسعة نطاق عملها الزماني والمكاني، وإذا مارفصنا نظرية حتمية الحروب فلا بد لنا أن نستفيد من دراسة ماوقع

منها للحيلولة دون ما سيقع. وإذا اعتبرنا الحرب ظاهرة تخريب وشؤم وضد القيم فإننا ألقينا أنفسنا في أحضان حكم غير منطقي، فيقدر ماكانت الحروب مخربة ومدمرة وعاملاً دموياً فقد مهدت للإزدهار في ميدان العلم وأدت إلى تقدم الثقافات والحضارات. فما زالت الحرب في حياة الانسان ذات حدّين وهي تحمل الحلاوة والمرارة والسّم والبلسم والبلاء والهناء والتعاسة والسعادة في وقت واحد. وللحرب بها لها من وجه بشع دور مؤثر في خلق الحاجات

اسباب ظاهرة الحرب

حدث وأن أصيب بهذا البلاء كثير من الآراء التي أبدت في هذا الموضوع، وكلت عن بيان الواقع بشكل تام، وظلت بعيدة عن الحقيقة.

وكذلك فإن دراسة وتحليل أسباب الحروب العالمية باعتبار أنه يصلح تعميمها على الحروب الأخرى لا يمكن أن يكون دراسة كاملة والبحث عن أسباب الحرب يحتاج إلى نظرة واسعة ليصلح الاستفادة منها في جميع ميادين الصراع العنيفة في المستقبل.

فالحروب تشبه على الأكثر الاصطدامات التي تقع في الطرق، فهي ذات أسباب عامة، وأسباب خاصة في نفس الوقت، فشوق الانسان للوصول في وقت أسرع من نقطة إلى نقطة أخرى بالسبارات هو السبب العام لحدوث الاصطدامات، ولكن لا يمكن الاكتفاء بهذا في تحليل اصطدام ما، فالشرطة والمحكمة يبحثان عن سبب خاص في كل اصطدام، وكذلك فيما يتعلق بالحرب، فأكثر الأسباب التي ذكرت على أنها منشأ الحرب هي في الحقيقة ممهدة للحروب وليست الأسباب الأصلية التي تؤدي إلى وقوعها^(١).

منشأ الحرب وأسبابها

كان هدف أكثر الذين بحثوا عن منشأ الحرب وأسبابها تقييمها للتمييز بين الحرب المشروعة وغير المشروعة. ولا يمكن لمثل هذا الهدف أن يكون غير منطقي غير أنه كلما كان البحث الهادف يسوق إلى أهدافه فيبرز بعض المسائل ويقلل من قيمة البعض الآخر كان بعيداً عن بحث الوقائع كما هي، ولا شك في أن الحكم الصادر سيكون خاطئاً والبحث غير واقعي.

وبناء على هذا ينبغي البحث عن أسباب ظاهرة الحرب وعللها بعيداً عن مسألة الشرعية وكونها جيدة أو سيئة، ولا شك في أن ظاهرة الحرب تتصل اتصالاً وثيقاً لا ينقسم بمسألة العدالة ونظام القيم والأخلاق ولا يعني فصل البحث في أسباب الحرب عن مسألة الشرعية، إن ظاهرة الحرب قد فصلت عن بعدها التعتمي، وهو أمر لا يمكن أن يحدث وليس منطقياً، ولا يتفق مع الواقع، بل إن هذا يجب ألا يعتبر في معرفة الأسباب ولا يظهر مالميس ظاهراً، ويخفى ماهو باد للعيان.

وتقوية المساعي الإنسانية لتوفيرها. كما أنها تسمح للمحرومين والمظلومين بالنضال لاسترداد الحقوق التي فقدوها. ومن هنا ينبع بحث شرعية الحروب ولهذا لا يستطيع الإنسان المتألم الذي فقد جميع أعزائه وما يملك في الحرب وتحمل آلامها، أن ينكر حق دفاع المظلوم المشروع، ذلك أن قبول انكار حرب الدفاع بمعنى التوقيع على هلاكه وهلاك الآخرين.

وليس هدفنا من البحث إحصاء نتائج الحرب المشؤومة أو مكتسباتها الإيجابية، كما أننا لن نعطي ظاهرة الحرب شرعية مطلقة أو ندافع عنها لما لها من آثار مفيدة ودور إيجابي في بناء الحضارة.

والذي يهمنا من هذا البحث بصفته مقدمة للبحوث التالية هو العلاقة بين ماضي الحياة البشرية وحاضرها ومستقبلها من وجهة ظاهرة الحرب والتي يمكن بيانها بدراسة أسباب وقوع الحرب وشرعيتها والطرق التي تساعد على تحقيق أهدافها، وبكلمة عابرة، لابد لنا للجواب على هذا السؤال: لماذا ندرس الحرب؟ من البحث عنه في دراسة النقاط الآتية الذكر، ليصبح بالامكان الكشف عن المستقبل في ضوء الماضي.

إن الذعر والعدوان والحرب والقتل والاغارة تنبع كلها من العنف، والعنف أحد المظاهر النفسية في الانسان. ولذلك ينبغي البحث عن منشأ الحرب في باطن الانسان وحالاته الروحية والنفسية وعمق رد فعله النفسي، ثم لابد من قبول هذه الحقيقة: وهي أن الحرب تنبع من باطن الانسان وحالاته الروحية وتفكيره، كما أن أساس السلم يكمن في عقل الانسان. فممنع العنف وآثاره ومنها الحرب تكمن أيضاً في حالته النفسية والعقلية، الا أن هذا التحليل وحده لا يساعدنا على معرفة أسباب الحرب وعواملها. ذلك أن بحثنا يدور حول معرفة الظروف التي تحدث فيها تلك الحالة النفسية والعقلية التي تسمى العنف والتي هي السبب الأصلي لبعض الآثار كالحرب، وبأي أسباب وعوامل تبرز في أعماق نفس الانسان وعقله ثم تنمو، وتصل إلى مرحلة العمل.

ولذلك ينبغي ألا يعتبر البحث عن أسباب الحرب مسألة اخلاقية والاغماض عن أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والثقافية. فالنظر إلى ناحية واحدة في تحليل أسباب الحرب سيصرفنا ولا شك عن إدراك الواقع. كما

وفيما يلي ندرس أهم النظريات في أسباب ظاهرة الحرب وعواملها:

١) الحرب أساس كل شيء:

يعتقد هراكليت أحد فلاسفة اليونان القديمة أن الحرب منشأ كل الحوادث، فالحرب تجعل من بعض الناس آلهة ومن بعضهم الآخر عبيداً أو أحراراً^(١).

وهذه النظرية قريبة من نظرة علماء الاجتماع السياسيين ومبينة لدور الحرب الكبير في حياة الانسان الاجتماعية.

ويبدو أنه ليس لهذه النظرية صلة كبيرة ببحثنا حول أسباب الحرب، ذلك أن الحرب تطرح على أساس هذه النظرية باعتبارها علة وليس معلولاً. ولكن بما أن الحرب في هذه النظرية أساس كل شيء يمكن الاستنتاج أنها ضرورية لكل شيء، وبعبارة أخرى ينبغي البحث عن منشأ الحرب في أعماق حاجات الانسان المعاشية وعلى الانسان العبور من مضيق الحرب للوصول إلى كل شيء ولذلك يمكن اعتبار هذه النظرية وجهة نظر في دراسة منشأ الحرب. ولكن يصح هذا الاستنتاج حينما لا يكون معنى قول هراكليت أن الحرب أساس كل الأشياء الموجودة وليس الشيء الذي ينبغي أن يكون. وإذا كان هراكليت يرى طريقاً آخر غير الحرب للوصول إلى الشيء غير الموجود ولكن يجب أن يكون فإن استنتاجنا من كلام هراكليت في هذا البحث لن يكون دقيقاً.

٢) للحرب أصل في طبع كل انسان:

كان أفلاطون وأرسطو يعتقدان بأن الحرب ظاهرة طبيعية ولها أصل في طبع كل إنسان^(٢).

يقول أفلاطون: إن السبب الأصلي للحرب رغبة الناس في الأشياء غير الضرورية في حياتهم والتي تعتبر من الكماليات^(٣).

ويقول أرسطو إن فن الحرب في حكم الطبيعة هو بنحو ما فن الحصول على المال^(٤).

وكان سقراط يرى قبل هذين الفيلسوفين أن حب الجشع تبعث على طلب عدد من الحاجات غير الضرورية، وهذا يدفع إلى الطمع بأموال الجيران وأراضيهم، ويعتبر احساس الجيران

المقابل بالنهاية سبباً في وقوع الحرب^(٥).

ويمكن بيان وجهة النظر هذه بعدة أشكال:

ألف) من وجهة النظر الأخلاقية: يعتبر علم الاخلاق العدل حالة وسطى وإيجاد تعادل بين قوتين باطنتين هما الشهوة والغضب بالاعتدال على الفكر الفلسفي اليوناني، ويرى أن الاسراف في الشهوات يدفع الإنسان للاستفادة من قوة الغضب، وبناء على هذا فإن الافراط في الغضب لابد أن يؤدي إلى العنف والحرب، ويمكن اعتماداً على هذا التحليل، إبعاد الإنسان عن الحرب بإيجاد نظام تقيمي يعادل بين الشهوة والغضب في باطن البشر ويبعدهم عن الحرب.

ب) من وجهة علم النفس: توجد الرغبة في التفوق عند جميع الناس إلى حد ما، وظروف الحياة توفر لهم مجال العمل لهم، ويبرز حب التفوق والميل إلى القدرة بأشكال مختلفة منها المنافسة والصراع والاستثمار والقتال والحرب.

ويقول توماس هابز: في طبع الانسان ثلاثة دوافع أساسية: المنافسة وعدم الاعتدال وحب الجاه، فالحالة الأولى تدفع الإنسان إلى استعمال القوة للسيطرة على الأشخاص ونسائهم وأولادهم وأحشامهم للحصول على مزيد من الفوائد، والحالة الثانية تدعو المرء للدفاع عن نفسه وحفظ حياته وماله بالقوة، والحالة الثالثة أن حب الجاه يدفع الانسان إلى مهاجمة أبناء نوعه ويضطره عدم اعتياده على بقاء قوته الفعلية والمحافظة على الظروف المنشودة لاستعمال القوة دائماً^(٦).

وعلى هذا لابد من اللجوء إلى أصول التربية لمراقبة الدوافع النفسية الأصلية لهداية السلوك الإنساني نحو الحياة المطلوبة رغماً عن الدوافع النفسية.

ج) من وجهة نظر التحليل النفسي: يعتبر عامل الجنس أساسياً في التنافس والصراع حسب نظرية فرويد، وقد اكتشف في كل حرب أثر لهذا العامل.

٣) الحرب مولود السياسة:

السياسة معدّات الحكم والحرب فن السياسة، ويمكن الوصول إلى الأهداف السياسية بفن الحرب، وليس من بحثنا صحة اسناد هذا القول إلى أفلاطون وأرسطو^(٨) غير أن العلاقة بين الحرب والسياسة التي أكد عليها كثير من المفكرين

والفلاسفة السياسيين بوجهات نظر عديدة تشير إلى النظرية القائلة بأنه ينبغي البحث عن منشأ الحرب في السياسة، وقد توصل هيغل في فلسفة التاريخ بإيراده أمثلة كثيرة إلى أن السياسة هي التي تثير الحروب وإن الجيوش تنفذها^(٩١).

وقد عرض هذا للتحليل بأشكال مختلفة أهمها:

ألف) منشأ الحرب هو حبّ القدرة واستعمالها، والسياسة في الحقيقة صورة ترسم بمعدّات القدرة، ويعتقد برتراند راسل أن قوانين حركة المجتمع أصول تعرف فقط من وجهة مفهوم القدرة بالمعنى الأعم، كما أن القوة في علم الفيزياء هي العامل الأساس والأصلي للحوادث، فالقدرة وحبّ الجاه هما كالقوة لهما أشكال مختلفة: كالغنى والجيش والمعدّات العسكرية، وتطور القوة العسكرية، والقدرة على فرض العقائد وكثير من هذا القبيل^(٩٢).

ب) وفي تحليل آخر تعود أسباب الحرب إلى عامل الدولة، لأن الحروب تقوم بواسطة الدول ولها أصول في الأهداف السياسية للأنظمة السياسية ولذلك يرى البعض أن زوال الدول عامل في استئصال الحروب.

ج) ويعتقد آخرون أن الحرب ستبقى بين الدول ما لم يحدوا من السيادة الوطنية، أكانت هذه الحرب عمدية أم كانت نتيجة لمحاسبات خاطئة^(٩٣).

والحقيقة أن إدخال السيادة الوطنية في ميدان السياسة الدولية لا يزال باعث للحروب.

د) لازالت الفوضى الدولية من أسباب الحرب. فما فتئت أوروبا منذ القرون الوسطى تكابد هذا البلاء^(٩٤) ولكن ممّا لا شكّ فيه أن الاعتماد على الفوضى الدولية وحدها في تحليل أسباب الحرب لن تحل المشكلة ما لم تعرف أصول هذه الفوضى ذلك أنها تجعل الحرب ممكنة ولكن لا تؤدي إلى وقوعها^(٩٥).

هـ) مازال التنافس بين الامبرياليين سبباً لوقوع الحرب، وإذا ما ضربنا صفحاً عن التفسيرات المختلفة التي أوردت لظاهرة الامبريالية، فإننا يمكن أن نعتبر حبّ التوسع الميزة الأصلية للامبريالية في ميدان العلاقات الدولية، والشاهد على العلاقة بين الحرب والسياسة.

والامبريالية في القوالب الخمسة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية الوساطة مازالت تتطلب نوعاً من

العلاقات القائمة على أساس العنف بسبب الآلية المعقّدة المتسلطة عليها. وبينها وبين ظاهرة الحرب علاقة العلة بالمعلول^(٩٦).

وليس معنى هذا التحليل أن الامبريالية تتخذ من الحرب وسيلة لايجاد وحفظ الارتباط بل يعتبر العدوان والهجوم والعنف والإغارة جزءاً من ماهيتها. بحيث تظل محتفظة بخصلة العنف والعدوان وحب الحرب وهي في أوج نجاحها ووصولها إلى السلم والهدوء الظاهرين، مثلها مثل الذئب الذي تقبع فريسته ذليلاً هادئة بين مخالبه.

و) اختلال تعادل القوى تعبير آخر يمكن أن يبين نوعاً ما العلاقة بين الحرب والسياسة، فإذا اعتبرنا سياسة تعادل القوى عاملاً رادعاً للحرب. فالنتيجة المنطقية لذلك أن فشل هذه السياسة سيؤدي إلى وقوع الحرب^(٩٧).

فتعادل القوى في الحقيقة يدعو أصحاب القدرة إلى امكانية التدمير المقابل. مما يدفعهم إلى ابداء رد فعل ايجابي والامتناع عن استعمال القوة وهذا ما يجبرهم على تدمير اسلحتهم بدلاً من قتل الناس.

٤) أسباب استمرار الحرب:

رغم طرح نظرية تنازع البقاء وبقاء الأفضل والأقوى باعتبارها قانوناً حاكماً على الطبيعة في حياة الحيوانات، إلا أن بعض العلماء عموماً على الحياة الاجتماعية عند الانسان أيضاً.

وإذا صرفنا النظر عن أن هذه النظرية اتخذت وسيلة لتبرير الاستعمار، وسياسة قتل المستضعفين فإن النتيجة العملية لها أن قضايا الحياة مازالت السبب الأصلي للحرب بين ابناء البشر، ثم إن استقرار حياة الانسان واستمرارها في اطار قانون تنازع البقاء وبقاء الأفضل والأقوى كان وسيبقى مقترناً دائماً مع ظاهرة الحرب، والمنطق الوحيد الذي يمكن أن يُدرك ويُقبل في خلال ذلك هو القوة.

وقد تم شرح نظرية أسباب استمرار الحرب بأشكال مختلفة أهمها:

الف) يعتقد البعض أن ازدياد عدد السكان لا يتناسب مع مستوى انتاج المواد الغذائية والامكانيات الموجودة منها في

الطبيعة، وبالنظر للسرعة البادية في ازدياد عدد السكان يمكن التكهّن بأنّ تكفي المواد الغذائية بعد فترة حياة جميع أبناء البشر.

وبناء على هذا وجب الحدّ من الازدياد العشوائي للسكان، وكما أنّ الأمراض المسرية تلعب دوراً طبيعياً في تعديل عدد السكان فإنّ الحروب تستطيع أن تقوم بهذه المهمة أيضاً وتجاوز بعضهم هذا فقال: الحرب حجام المجتمع الانساني^(١٦) فالأقوى يبقى بناء على أساس قانون تنازع البقاء والضعيف يذهب.

ب) لا يولد جميع الناس متساوين ولا يواجهون امكانيات وقدرة واحدة، فظروف الحياة تمنح الافضلية للبعض، والناس يظهرون على مسرح الحياة بمواهب واستحقاقات مختلفة.

وبناء على هذا فالناس يوجدون بانجاد متباينة والنجاد الأفضل ينتصر في الحرب والصراع مع الحياة على النجاد الأدنى، والحرب تبعد الضعفاء من طريق الأنجاد الأفضل بالعنف والقوة، وعلى هذا فإنّ الباقيين بعد الحرب هم في الحقيقة صفوة الطبيعة والفائحون في تنازع بقاء الحياة الذين حصلوا على قيمة الحياة!.

ج) كانت نظرية الفضاء الحيائي التي أوردها هتلر وأدت إلى دمار العالم واصطبائه بالدماء سبباً آخر من أسباب استمرار الحرب، فقد اقترحت انجلترا التي كانت تدرك جيداً صراخ هتلر وشكواه من ضيق الفضاء الحيائي ان تمنح ألمانيا بعض المستعمرات ولكن هذا الاقتراح كان عند الألمان بمعنى هدر ثروة كان على انجلترا أن تنفقها لإدارة المستعمرات، بالإضافة إلى أنّ الفضاء الخالي لم يكن موجوداً، وقد كان هتلر يطمع بالنمسا وأراضي روسيا الواسعة، ويرى الكثيرون أنّ الفضاء الحيائي لم يكن سوى حجة لبدء الحرب، ومع ذلك فإنّ ما كان نظرية اعتمد عليها هتلر لتبرير الحرب^(١٧).

دور الاقتصاد في الحرب:

أعداد بعض المعلقين السياسيين أسباب الحرب العالمية الأولى إلى فقر دولتي ألمانيا وإيطاليا اللتين لم تستطعا من جهة دخول الأسواق العالمية وإفترقارهما المواد الخام الضرورية من جهة أخرى، بينما كان العمال في بلد كبريطانيا يطلبون من حكومتهم بإصرار، العمل على حلّ المشكلات الاقتصادية بدلاً

من سباق التسلح.

وبصرف النظر عن صحّة هذا التحليل أو عدمه، بالنسبة إلى اسباب الحرب العالمية الأولى، لا يمكن تعميم هذا العامل على كل الحروب، وحتى لو وصلت المشكلات الاقتصادية إلى حد الفقر فلا بد من البحث عن عوامل أخرى لوقوع الحرب. وأهم نظرية حول السبب الاقتصادي لوقوع الحرب هي النظرية الماركسية القائلة بأن سبب الحرب يكمن في التضاد بين الطبقات الناشيء من تكامل معدات الانتاج والتطورات في العلاقات الاجتماعية. وعلى هذا فالحرب وسيلة لانتقال القدرة من طبقة قديمة إلى طبقة جديدة.

ولا تتحدث النظرية الماركسية عن الحرب باعتبارها نزاعاً في العلاقات الخارجية فقط بل تشمل ميداناً أوسع لمفهوم الصراع بين الطبقات في داخل الأمة وخارجها، أي أنّها تطرح في المرحلة الأولى قضية الصراع بين الطبقات والقتال من أجل انتصار طبقة البرولتاريا واستقرار النظام الاشتراكي على المستوى الداخلي، وفي المرحلة الثانية تغلب طبقة العمال على المستوى العالمي، وفي هذه المرحلة لا بد من وقوع الحرب بشكل صراع في السياسة الخارجية وعلى المستوى العالمي.

وقد بدأ ماركس وانغلز ال «مانينغست» بهذه الجملة: يتلخّص تاريخ جميع المجتمعات حتى اليوم في تاريخ الصراع الطبقاتي^(١٨).

فلا يمكن في النظرية الماركسية تصور طريق السلام لتحقيق الثورة العمالية على المستوى القومي والعالمي، ويقول انغلز العنف هو العامل الوحيد للازدهار الاقتصادي والتسريع به، وينصح لينين أيضاً في كتابه «التكتيكات الاشتراكي - الديمقراطي» عن اعتقاده بضرورة استعمال القوة لتحقيق طموحات الاشتراكية^(١٩).

وإقامة دولة العمال في الماركسية يبدأ بالصراع الطبقي، وليس معنى الابتعاد عن الحرب ريثما ينتهي الصراع بانتصار الثورة العمالية، حبّ الماركسية للسلام.

وقد تحدث لينين بصراحة عن هذا الموضوع قائلاً: «هناك اختلاف تام بين مانستنبطه من معنى الحرب وما يستنبطه دعاة السلام أو الفوضيون، والاختلاف الذي بيننا ناشيء من أنّنا نرى علاقة حتمية بين الحروب والصراع الطبقي في داخل كل

بلد، ونرى أنه لامندوحة عن الحرب ما لم تزل الطبقات وتحل
الإشترائية»^(٢١).

ويعتقد لينين بأن طبقة العمال يجب ألا تخالف حرباً يمكن
أن توفر للبرولتاريا الظروف المناسبة للحصول على السلطة
السياسية^(٢٢).

وكما أن الماركسية تبرّر استعمال العنف لتحقيق الإشترائية
على المستوى الداخلي والوطني فإنها ترى الحرب ضرورة
بصفتها ظاهرة طبيعية ناشئة من التضاد، وتعتقد بأن اللجوء
إليها للوصول إلى الأهداف الشيوعية مبرر تماماً وحتى
ضروري.

والحرب في النظرية الماركسية ليس في الحقيقة سوى
استمرار الصراع الطبقي على مستوى عالمي أوسع ولا يمكن
أن يزول استثمار شعب لشعب آخر ما لم ينته استثمار الإنسان
للإنسان.

ويبرّر الماركسيون الحروب التي لا يبدو فيها أي دور
للاقتصاد في الظاهر أنها ليست أكثر من حارس تتخذه
الطبقات الحاكمة لتشغل به جماهير الشعب وتصرفها عن
الصراع الأساسي.

أمّا فيما يتعلق بالحروب التي تدور بين البلاد الرأسمالية
فيعتقد الماركسيون أنها إحدى دسائس الحكومات البرجوازية
التي تدفع العمال إلى القتال بعضهم بعضاً.

ويرى الماركسيون وجوب دراسة كل حرب باعتبارها جبراً
تاريخياً فقد وقعت حروب خلال التاريخ البشري ساعدت على
تقدم الانسان رغم مافرضته من وحشية وفجائع وآلام^(٢٣).

وبالرغم من هذه التصريحات فإن الماركسية لا تفتأ تعرف
نفسها في بياناتها الاعلامية بالمدافع عن السلام، وتدعو العالم
إلى المسالمة، وتعتبر الانظمة الرأسمالية داعية للحرب.

٦) أسباب الحرب من وجهة نظر الميثاق الدولية:

رغم التأكيد المكرر في الميثاق الدولية سيّما ميثاق الأمم
المتحدة على تحقيق السلم والأمن العالمي ومنع الحروب وأي
نوع من أنواع العنف بين الدول، غير أنه لايفصح عن أسباب
الحرب والعوامل التي تعرض السلم العالمي والأمن الدولي
للخطر.

وقد أشير في الحديث عن أهداف الحرب في بعض الميثاق
الدولية بشكل غامض وغير مباشر إلى أسباب تمكن من
وقوعها، غير ان هذه الأسباب نفسها ظواهر معلولات ينبغي
البحث عن عواملها ودراستها والحقيقة أن المفاهيم العامة
والغامضة التي وردت في هذه الميثاق هي نفس العوامل التي
تعتبر أساساً للحرب:

وأهم هذه المفاهيم العامة التي يمكن اعتبارها عوامل تمهد
لوقوع الحرب عبارة عن:

(الف) الاختلافات الدولية والظروف المؤدية إلى العدوان
والإخلال بالسلم والأمن الدوليين.

(ب) عدم احترام حق السيادة للشعوب، والتنكّر لمبدأ
التسوية في الحقوق بين الدول^(٢٤).

(ج) عدم احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية
للجميع، والتمييز بسبب الجنس واللغة والدين وأمثالها^(٢٥).

(د) إنفاق أكثر الثروات الانسانية والاقتصادية للتسلح،
ورفع مستوى انتاج الأسلحة وميزانيتها، ودفع عجلة سباق
التسلح^(٢٦).

(هـ) عدم وجود مرجع دولي يستطيع اتخاذ القرارات
الضرورية وتصفية الاختلافات في حال تعرّض السلم والأمن
الدوليين للخطر^(٢٧).

(و) حقّ الدفاع عن النفس إذا اعتدت قوة مسلحة على
أحد أعضاء الأمم المتحدة^(٢٨).

(ز) نقض الإتفاقيات من جانب واحد^(٢٩).

(ح) جهل الشعوب حقوق الإنسان، الأمر الذي مازال
منشأ سوء الظن وعدم الاعتدال بين الشعوب وغالباً ما تؤدي
الاختلافات المنبعثة منها إلى الحرب... ولذلك يجب أن يركز
السلم المطلوب على أساس التعاون الفكري والأخلاقي بين
الناس^(٣٠).

٧) أسباب الحرب من وجهة نظر القرآن:

يبين القرآن ضمن شرحه لحاجة الانسان الأساسية إلى
الهدى إلهي وضرورة بعثة الأنبياء أن أول ظاهرة يمكن أن توفر
هذه الحاجة والضرورة في حياة الانسان الاجتماعية هي
الاختلاف.

﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^(٣٤).

فهذا الاختلاف وإن نشأ من نفس الأسباب التي بعثها الاختلاف الأول، غير أن موضع الاختلاف كان نفس الدين والشرعة اللذين عرضا على الناس لإزالة الاختلاف الأول. والظلم والعدوان أحدثا في هذه المرة اختلافاً آخر، ذلك الاختلاف الذي يمكن أن نعبّر عنه بالاختلاف المعنوي أوجب استمرار رسالة الأنبياء، والتكامل التدريجي للشرائع الالهية^(٣٥).

ثم برز في المرحلة الثالثة التنازع والتضاد الحتميين في حياة الانسان الاجتماعية بالشكل الذي لامر منه في كل نظام وجماعة منسجمة ومنظمة، ذلك أنه لا بد في كل نظام من وجود تفاعل اجزائه وليس معنى هذه العلاقة سوى التنازع ودفع الصراع، ومما لا شك فيه أن التضاد والنزاع بين الناس يمكن أن يحدث بأشكال مختلفة منها الحرب المسلحة^(٣٦).

والقرآن يبين في هذا الخصوص أسباب الحرب في قولين: الف) ان النزاع والصراع والتضاد يمهد لتكامل المجتمع الانساني ويمنع فساد.

﴿لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾^(٣٧).

وبناء على هذه النظرة فالتاريخ والمجتمع الانساني كعالم الطبيعة في تطور وحركة، والتضاد بمعنى التدافع شرط ضروري لاستمرار الفيض من عند الله^(٣٨).

ولا شك في أن هذا النوع من التدافع أو كما يقول القرآن ﴿الدفع﴾ والذي يقوم على مبدأ فطري يمكن أن يكون على أساس الحق المشروع أو بشكل عدواني، كبقية المبادئ الفطرية الأخرى التي تتجلى أحيانا في صورة صحيحة وتقوم على الحق والعدل وتظهر أحيانا أخرى بصورة أعمال سيئة وعدوانية^(٣٩).

ب) إن أبناء كل نوع جديرون بالبقاء ماداموا يملكون القدرة على المواجهة والدفاع أمام العوامل السلبية والظروف التي تهدد حياتهم. وهذا نفس قانون الاختيار الطبيعي والاحتذاء بالبيئة الحياتية التي تطرح لتعليل نظرية تنازع

فالاختلاف من وجهة نظر القرآن إنما طغى على المجتمع الانساني بعد أن كان يعيش في وحدة ومساواة، وحياة هادئة بعيدة عن الإجحاف والظلم والعدوان.

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾^(٣٢).

لم يصرح في هذه الآية بأساس أول اختلاف ظهر على مسرح حياة الانسان الاجتماعية وذلك دليل على أن هذا الاختلاف طبيعي. وإنه ينبع من فطرة الانسان وطبعه للاستفادة من الثروات الحياتية والامكانيات المعيشية.

والحياة تدبير ينبع من فطرة الانسان، يدفع أولاً الى الحياة الاجتماعية ثم إلى استخدام الآخرين، وتفكير الانسان واعتقاده بضرورة تأمين حياته على أفضل وجه بأي طريقة ممكنة جعله يستولي على المواد الخام ويصنع منها الأدوات اللازمة والغذاء والملبس والسكن، وأن يفكر باستخدام الحيوانات ثم استثمار أبنائه نوعه، وقد أدى اختلاف الناس في قوتهم الى استغلال القوي لمن تحت يده دون ان يسمح للضعيف ان يرد بالمثل، وقد ادت طريقة الاستخدام والاستثمار الى ظاهرتين سلبيتين في المجتمع الانساني هما حب الإنتقام والفوضى اللتان تعتبران خطراً كبيراً على سعادة الانسان ﴿ما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا﴾^(٣٣).

والوحدة التي يتحدث عنها القرآن بصفتها أول حالة في المجتمع الانساني لاتعارض ابداً مع الاختلاف الذي وقع بين الناس، ذلك أن الاختلاف نشأ من لجوء الناس إلى فطرتهم المتأثلة واحاسيسهم وادراكاتهم وغرائزهم المتشابهة للاستفادة من العالم الخارجي إلا أن كل هذه الأشياء التي استفاد منها الناس ليست متماثلة ومتشابهة وبذلك ظهر التعارض والصراع والتضاد والاختلاف.

وهذا الاختلاف الذي مهد لضرورة الهدي الالهي وبعث الانبياء كان في الحقيقة اختلافاً مادياً، ونشأ من العلاقة بين حياة الانسان التدييرية وبين الامكانيات والقوى الموجودة في بيئة الحياة الاجتماعية، والوحي الالهي والأنبياء كشفوا عن طريق حل مثل هذا الاختلاف بابلاغ الشريعة. والقرآن يتحدث عن اختلاف آخر غير هذا بقوله:

البقاء.

﴿لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات﴾^(٤٠).

والقرآن ببيانه هذا اعتبر حالة الدفاع بصفتها سنة فطرية تعود كبقية السنن الطبيعية إلى إرادة ومشئنة الهية، كفيلة بحفظ الحياة والبقاء، ولذلك جهز الله الانسان بوسائل الدفاع، ومنحه التفكير والعقل ليصنع هذه الوسائل بشكل يتناسب ونوع المضايقات والعوامل والظروف التي تهدده، ومتابعة الحياة والتمتع بآثارها الرائعة.

والحرب آخر مرحلة في تنازع البقاء فحينما لا يؤثر أي من طرق الدفاع، تعمل جماعة للقضاء على العوامل المضايقة باللجوء إليها لتحافظ على حياتها وتبقى^(٤١).

وقد ورد كلا هذين الشرحين في القرآن بعد الحديث عن شرعية الجهاد، فذكرت الآية الأولى بعد أول اذن للمسلمين المظلومين والمخرجين من ديارهم بالدفاع المشروع، وبيّنت الآية الثانية هدف الحرب وأسباب استعمال القوة والعنف بعد الحديث عن نجاة فئة من بني اسرائيل على يد طالوت من ظلم جالوت وعدوانه.

المصادر والهوامش:

- ١ - أسباب الحرب العالمية الثانية، صفحة ١٦٠.
- ٢ - مقالة نظرية اجتناب يذري جنگ ها (نظرية حتمية الحروب)، تأليف الدكتور س. جليلي، نشرية مركز مطالعات عالي بين الملل [مجلة مركز الدراسات الدولية العليا]، العدد ١٠، الصفحة ١٠٦.
- ٣ - ن، م.
- ٤ - خداوندان اندیشه سياسي، (آلهة الفكر السياسي)، تأليف مايكل ب. فاستر، ترجمة الدكتور شيخ الاسلامي (بالفارسية)، ج ١، القسم الأول، ص ٨٤.
- ٥ - السياسة لأرسطو، ترجمة الدكتور حميد عنایت (بالفارسية)، ص ٨٤.
- ٦ - آلهة الفكر السياسي، ج ١، القسم الأول، ص ٨٤.
- ٧ - آلهة الفكر السياسي، تأليف و. ت. جونز، ترجمة علي رامين (بالفارسية) ج ١، القسم الأول، ص ١٢٢.
- ٨ - مجلة مركز الدراسات الدولية العليا، العدد ١٠، ص ١٠٧.
- ٩ - ن، م.
- ١٠ - القدرة، تأليف برتراند راسل، ترجمة الدكتور هوشنگ منتصري (بالفارسية) صفحة ٢٦.
- ١١ - أسباب الحرب العالمية الثانية، تأليف أ. جي. بي. فتيلا، ترجمة محمد علي طالقاني (بالفارسية) ص ١٥٩.
- ١٢ - ن، م، ص ١٦٠.
- ١٣ - ن، م.
- ١٤ - تنويرهای اميراليزم، (النظريات الامبريالية)، تأليف البروفسور ولنگانگ ج، موسن، ترجمة كورش زعيم (بالفارسية) ص ٨٩.
- ١٥ - أسباب الحرب العالمية الثانية، ص ٥١.
- ١٦ - أصول علم السياسة، تأليف موریس دوورجه، ترجمة الدكتور أبو الفضل قاضي، ص ٥٤.
- ١٧ - أسباب الحرب العالمية الثانية، ص ١٦٤.
- ١٨ - ن، م، ص ١٦٣.
- ١٩ - مجلة مركز الدراسات الدولية العالية (بالفارسية)، العدد ١٠، ص ١٠٩.
- ٢٠ - ن، م، ص ١١٢.
- ٢١ - ن، م.
- ٢٢ - ن، م، ص ١١٧.
- ٢٣ - ن، م.
- ٢٤ - الفقرة الأولى من المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة.
- ٢٥ - ن، م، الفقرة الثانية، والمادة الأولى من الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية.
- ٢٦ - ن، م، الفقرة الثالثة، والفقرة الثانية من المادة ٢ من ميثاق التعاون الدولي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ومقدمة منشور حقوق الانسان.
- ٢٧ - ن، م، المادة ٢٦.
- ٢٨ - ن، م، الفقرة الثانية من المادة ٣٧، والمادة ٣٣.
- ٢٩ - ن، م، المادة ٥١.
- ٣٠ - معاهدة فيينا (حقوق الإتفاقيات).
- ٣١ - مقدمة القانون الأساسي لليونسكو.
- ٣٢ - سورة البقرة، الآية ٢١٣.
- ٣٣ - سورة يونس، الآية ١٩.
- ٣٤ - سورة البقرة، الآية ٢١٣.
- ٣٥ - تفسير الميزان، ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٦.
- ٣٦ - ن، م، ص ٣٠٨.
- ٣٧ - سورة البقرة، الآية ٢٥١.
- ٣٨ - ظهور وثورة المهدي (ع) من وجهة نظر فلسفة التاريخ، تأليف الشهيد مطهري (بالفارسية)، ص ٢٥، ومقالة، أصل التضاد في الفلسفة الاسلامية للشهيد مطهري (مجلة كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية بجامعة طهران).
- ٣٩ - تفسير الميزان، ج ٢، صفحة ٣٠٩.
- ٤٠ - سورة الحج، الآية ٤٠.
- ٤١ - تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٤٢٤.